العلم ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى اعمار الناس قبله او ما شاء الله من ذلك فكانه تقاصر اعمار امته اى لا يبلغون
من العمل مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر فاعطاه الله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر اخرجه مالك فى الموطا
قال المفسرون معناه العمل الصالح فى ليلة القدر خير من العمل فى الف شهر ليس فيها ليلة القدر وانما كان كذلك لما
يريد الله تعالى فيها من المنافع والارزاق وانواع الخير والبركة الوجه الثانى من فضلها قوله عز وجل تنزل
الملائكة يعنى الى الارض وسبب هذا انهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وظهر ان الامر بخلاف ما قالوه وتبين
حال المؤمنين وما هم عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا اليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا
بما قالوه ويعتذرون ويستغفرون لهم لما يرون من تقصير قد يقع فى بعضهم والروح يعنى جبريل عليه
السلام قال اكثر المفسرين وفى حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة القدر
نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله عز وجل ذكره ابن
الجوزى وقيل ان الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا فى تلك الليلة ينزلون من لدن غروب
الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك الليلة فيها اى فى ليلة القدر
باذن ربهم اى بامر ربهم من كل امر اى بكل امر من الخير والبركة وقيل بكل ما امر به وقضاه من كل امر الوجه
الثالث من فضلها قوله تعالى سلام اى سلام على اولياء الله واهل طاعته قال الشعبى هو تسليم الملائكة
فى ليلة القدر على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر وقيل الملائكة ينزلون فيها
كلما لقوا مؤمنا او مؤمنة سلموا عليه من ربه وقيل تم الكلام عند قوله من كل امر ثم ابتدا فقال سلام
هى يعنى ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر الله فى تلك الليلة ولا يقضى الا السلامة
وقيل ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوءا ولا يحدث فيها اذى اى ذلك السلام
والسلامة تدوم الى حتى مطلع الفجر والله اعلم تفسير سورة لم يكن وتسمى البينة مدنية قاله
الجمهور وفى رواية عن ابن عباس انها مكية وهى ثمان ايات واربع وتسعون كلمة وثلثمائة وتسعة
وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب يعنى اليهود والنصارى
والمشركين اى ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكفار كانوا جنسين احدهما اهل كتاب
وسبب كفرهم ما احدثوه فى دينهم اما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم لله بخلقه واما النصارى
فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثانى المشركون اهل الاوثان الذين لا ينتسبون الى
كتاب فذكر الله الجنسين فى قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين اى منتهين عن
كفرهم وشركهم وقيل معناه زائلين حتى تاتيهم لفظه مضارع ومعناه الماضى البينة الحجة الواضحة
يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم اتاهم بالقران فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية
ودعاهم الى الايمان فامنوا فانقذهم الله من الجهل والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه
اليهم بالاية فهم من امن من الفريقين قال الواحدى فى البسيط وهذه الاية اصعب ما فى القران
نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء قال الامام فخر الدين فى تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال
فيها وانا اقول وجه الاشكال ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة
التى هى الرسول ثم ان كلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه تقتضى انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان
الرسول ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وهذا يقتضى ان كفرهم
قد ازداد عند مجىء الرسول فحينئذ يحصل بين الاية الاولى والثانية مناقضة فى الظاهر وهذا منتهى

الاشكال

الاشكال فى ظنى قال والجواب عنه من وجوه اولها واحسنها الوجه الذى لخصه صاحب الكشاف وهو ان
الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاصنام كانوا يقولون قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم لا ننفك
عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبى الموعود الذى هو مكتوب فى التوراة والانجيل وهو
محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
اى انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة على الحق والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا
اقرهم على الكفر الا مجىء الرسول ونظيره فى الكلام ان يقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك عما انا
فيه حتى يرزقنى الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق
حتى توسر وما غمست راسك فى الفسق الا بعد اليسار فيذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما قال الامام
فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى
تاتيهم البينة مذكور حكاية حالهم وهو قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اخبار عن الواقع والمعنى
ان الذى وقع خلاف ما ادعوا وثانيها ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم
البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال الا ان تفسير لفظة حتى بهذا ليس من اللغة وذكر وجوها
اخر قال والمختار هو الاول ثم فسر البينة فقال تعالى رسول من الله اى تلك البينة رسول من الله
يتلوا اى يقرا الرسول صلى الله عليه وسلم صحفا اى كتبا يريد ما تضمنه المصحف من المكتوب فيه وهو
القران لانه كان صلى الله عليه وسلم يقراه عن ظهر قلب لا عن كتاب مطهرة اى من الباطل والكذب والزور
والمعنى انها مطهرة من القبيح وقيل مطهرة معظمة اى لا ينبغى ان يمسها الا المطهرون فيها اى فى الصحف
كتب اى الايات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الحكم قيمة اى عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل قيمة
بمعنى قائمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالامر اذا اجراه على وجهه ثم ذكر من لم يؤمن من اهل الكتاب
فقال تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعنى فى امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما جاءتهم البينة يعنى جاءهم
البينات فى كتبهم انه نبى مرسل قال المفسرون لم يزل اهل الكتاب مجتمعين فى تصديق محمد صلى الله عليه
وسلم حتى بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا فى امره واختلفوا فيه فامن به بعضهم وكفر به اخرون ثم ذكر
ما امروا به فى كتبهم فقال تعالى وما امروا يعنى هولاء الكفار الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين الاخلاص
عبارة عن النية الخالصة وتجريدها عن شوائب الريا وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الاخلاص
فى ابتداء الفعل الى انتهائه والمخلص هو الذى ياتى بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية الخالصة
لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة فقد دلت الاية على ان كل مامور به فلا بد وان يكون منويا
فلا بد من اعتبار النية فى جميع المامورات قال اصحاب الشافعى الوضوء مامور به ودلت هذه الاية على
ان كل مامور به يجب ان يكون منويا فتجب النية فى الوضوء وقيل الاخلاص محله القلب وهو ان ياتى
بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا له لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضا اخر حتى قالوا فى ذلك لا يجعل
طلب الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا وان كان ولا بد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض
العبودية واعترافا لربه عز وجل بالربوبية وقيل فى معنى مخلصين له الدين مقرين له بالعبودية
وقيل قاصدين بقلوبهم رضا الله تعالى بالعبادة م عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم حنفاء اى مائلين عن الاديان
كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم عليه السلام وقيل حنفاء اى حجاجا وانما قدمه على الصلاة

Copyright © King Saud University